

حسين حسني رائد مصري للرياضة في فلسطين

عصام الخالدي

كانت العلاقات الثقافية بين مصر وفلسطين قبل عام ١٩٤٨ تأخذ طابعا مميزا لما كانت تحمله من جذور الصداقة والإخوة بين الشعبين. ولم تكن مقتصرة على زيارة الوفود الفنية والأدبية والرياضية إلى فلسطين، بل تعدتها لأن تستفيد فلسطين من التطور الثقافي والعلمي في مصر مستعيرة منها المتخصصين.

وعند الإشارة إلى الحركة الرياضية والصحافة الرياضية في فلسطين قبل عام ١٩٤٨ لا بد أن نخص بالذكر أستاذا فاضلا وكاتبا ترك بصماته على هذه الحركة وصحافتها، ألا وهو الأستاذ حسين حسني الذي كان قد تخرج من أحد أقسام التربية البدنية في مصر، ثم حضر إلى فلسطين في بداية الثلاثينات، ليعمل مدرسا في كلية روضة المعارف في مدينة القدس، ثم عين فيما بعد مراقبا للتربية البدنية بمدارس الأوقاف الإسلامية. كما وفي أيار عام ١٩٤٤ تم تعيينه بمرسوم ملكي مشرفا على الرهوط والفرق المصرية في فلسطين من قبل جمعية الكشافة المصرية الأهلية في القاهرة. وبالإضافة إلى عمله كمدرس للتربية البدنية، عمل أيضا محررا لزاوية "الألعاب الرياضية" في صحيفة "فلسطين" منذ كانون أول ١٩٤٤ وحتى عام ١٩٤٨. كما كان عضوا في لجنة ألعاب القوى التابعة للاتحاد الرياضي الفلسطيني (مع ليفون كشيان، جورج طنوس وسليم نسبية). وقد ساهم مساهمة فعالة في تفعيل دور هذه اللجنة بدفع هذا النوع من الرياضة إلى الأمام، وإجراء العديد من المسابقات والمهرجانات في مدن مختلفة في فلسطين في عامي ١٩٤٦ و١٩٤٧.

في منتصف الثلاثينات كانت هناك محاولة جادة وفعالة من قبل الحركة الوطنية للتنسيق مع مؤتمر الشباب والحركة الرياضية العربية من أجل إقامة مهرجان رياضي، ردا على مهرجان مكابي اليهودي، يضم كافة الشبيبة الفلسطينية. وقد أقيم هذا المهرجان في الأعوام ١٩٣٥ و ١٩٣٦ و ١٩٣٧. وقد ساهم الأستاذ حسين حسني بتنظيم هذه المهرجان (كانت اللجنة العليا للمهرجان تضم: إبراهيم درويش، الأستاذ حسين حسني، الدكتور داود الحسيني، خالد الدزدار - سكرتيرا للهيئة العليا للمهرجان، بهاء الدين الطباع وحقي مزين). وكان هذا المهرجان تعبيراً عن النزعة الوطنية والعداء للانتداب والصهيونية في تلك الفترة، وإبراز روح الإخوة بين أبناء الشعب الواحد. وقد وصف الصهاينة هذا المهرجان بأنه محاولة "تنظيم لحركة شباب قوية من مختلف المدن والقرى الفلسطينية".

لم تكن الأخبار الرياضية في الثلاثينات وبداية الأربعينات تنشر بشكل يومي منتظم . لكن بعد ان أخذت الحركة الرياضية بتنظيم عملها، وأصبح حجمها يحتم وجود صحافة ملائمة لها، تعمل على عكس الأخبار الرياضية وعمل الاتحاد الرياضي الفلسطيني ومقرارات اجتماعاته، أخذت هذه الزاوية بالنمو والارتقاء، خاصة عندما ترأس الأستاذ حسين حسني تحرير صفحة "الألعاب الرياضية" في صحيفة "فلسطين" في عام ١٩٤٤ . وقد تميز قلمه بالجرأة، والغيرة على مسار الحركة الرياضية في فلسطين، والنقد اللاذع للمتلاعبين وللمقصرين في هذه الحركة . وهذا ما جعله في مقدمة رواد الحركة الرياضية الفلسطينية . وهو لم يكن يعتمد فقط على نشر الأخبار الرياضية بل على تحليلها وعلى ترسيخ علاقات وثيقة مع القيادات الرياضية وعلى جعل زاويته "مجلة" تعكس ثقافة رياضية يستفيد منها القارئ .

ومن خلال مقالاته ضمن "الزاوية الرياضية" كان يهدف إلى تحفيز النشء البدني لدى المواطن محاولا توعيته بفوائد الرياضة وتأثيرها على البدن والعقل . كما عمل على تثقيف الرياضيين، مشيرا إلى تداخل النشء الرياضي مع السلوك والأخلاق والوطن . وقد كانت بعض مقالاته تحمل العناوين التالية "الصحة والرياضة قبل المال" ، "الصباح خير أوقات الرياضة" ، "العمال والرياضة" ، "لمحة تاريخية عن الألعاب الرياضية" ، "صحافتنا العربية والنهضة الرياضية" .

كما دعا إلى الاهتمام بالفرق الثانية وبالرياضة العمالية ووجه نقدا لبعض المدن في فلسطين لعدم إعطائها للرياضة أهمية، وتقاعسها في بناء الملاعب . كما دعا إلى تأسيس معهد للتربية البدنية يعمل على إعداد كوادر قادرة على توجيه وتطوير الرياضة . وقد اقترح أيضا تأسيس اتحاد رياضي للطلبة فلسطين يتولى تنظيم مباريات دورية ومسابقات في الألعاب المعروفة، حيث ستتاح الفرصة للطلاب زيادة مختلف أجزاء الوطن، وسيتعرفون إلى إخوانهم، ويعملون على إقامة علاقات ودية وروابط أخوية بينهم، مما سيكون له فائدة علمية كبرى عند دراسة الطلاب لجغرافيا بلادهم وتاريخ وطنهم .

وكمدرس للتربية البدنية، فقد وجه حسين حسني نقدا لاذعا لدائرة المعارف وسلطات الانتداب على إهمالها للنشاط الرياضي: "لمسنا ضالة العناية والاكتراث بهذه الناحية المهمة ذات التأثير البالغ في إعداد النشء إعدادا كاملا لخوض غمار الحياة... بالقياس إلى اهتمام تلك المدارس بمواد التدريس الأخرى" . كانت دائرة المعارف تشرف على حوالي الخمسمائة مدرسة ما بين ابتدائية وثانوية منتشرة في أنحاء البلاد، ليست فيها غرفة واحدة لاستخدامها كصالة للتدريب، ولا ملعب مجهز بمرافق صحية ورياضية . ويكتب أيضا: «أوليس من المؤلم ان يتقدم بعض الوطنيين في هذه الدائرة بآراء واقتراحات حول النهوض بالرياضة لسد هذا النقص ولكن لا من مجيب أو سميع؟ طبيعي ما من مجيب لان المشرفين السابقين الذين سيطروا على هذه الناحية أيضا لعبت عندهم السياسة الاستعمارية دورها فحرمتنا النمو والنهوض في هذا الميدان الحيوي، وضللت العقول، فأوهمت البسطاء ان العلم هو حشو الأدمغة بالمعلومات، وحشو النظريات العلمية في عقول النشء... لا يا جناب المدير، فلئن صحت هذه السياسة في الماضي فإنها أصبحت الآن عتيقة لا تجوز حتى على عقول النشء... ونحن نرجو ان يكون لدائرة شؤون التربية والرياضة منهجا رياضيا قوميا، وان توجه الطلاب الوجهة الصالحة بلا لف أو

دوران، فهل تعملون في هذه الناحية أيضا كما وعدتم؟".

وبجراً ينتقد حسين حسني بعض الهيئات التعليمية لإسنادها رعاية الحفلات المدرسية السنوية، التي كانت قد بدأت منذ عام ١٩٢٨، للمسؤولين البريطانيين: "أفليس من العار على قوميتنا ان يرأس حفلاتنا مهما كان نوعها وغرضها غير عربي، ما دمنا في ارض عربية ومحيط عربي وبين لاعبين من العرب؟".

وفي مقال آخر يتساءل بخصوص هذه الحفلات المدرسية: "هل شعرت معي في موضوع يدفني الواجب القومي والفني والصحافي إلى المجاهرة به لما له من الخطورة في نفوس أبنائنا؟ فهذا البرنامج كتب بلغتين، وهذا مكبر الصوت يذيع بالعربية وغير العربية، مع ان غير العرب في هذا الحفل لا يتجاوز عددهم أصابع اليد... إلى متى هذه المجاملة؟ والى متى نظل مسوقين؟ ليس المكان بمتسع سرد ما يفعله غيرنا في هذه البلاد... يا قوم كرامتنا وقوميتنا فوق الجميع، وفوق كل شيء. يجب ان تكون حفلاتنا عربية... تحت رعاية عربي... إذا أردنا ان نعلم أبنائنا منذ الصغر الاعتزاز بالنفس والتمسك بالقومية والمحافظة على الكرامة، فقد كفانا ما كان".

لقد كان هذا الأستاذ الفاضل يسعى دائما لإيجاد علاقة متينة بين الصحافة الرياضية وبين الحركة الرياضية الفلسطينية، بما تشمله من نشاطات للأندية وعمل للاتحاد الرياضي الفلسطيني، بالإضافة إلى العلاقة مع الأندية والفرق في الدول العربية الشقيقة. وقد أقيمت هذه العلاقة على أسس متبادلة. فمن جهة كانت الأخبار الرياضية ترد إلى الصحيفة وتُنشر بشكل يومي، ومن جهة أخرى كانت الصحيفة، من خلال مقالات حسين حسني، تعمل على تحفيز النشء الرياضي وعلى توعية المواطنين بجوهر هذا النشء وإدراك قيمه. وهذا ما أعطى لهذه الزاوية الرياضية دورا فعالا لتحقيق هذه المهام، وجعلها مميزة لما لها من سمات علمية ووطنية ودعائية.

يكتب حسن عويضة، أحد الرياضيين الذين زاولوا الرياضة في صباهم، عن الزاوية الرياضية بعد مرور عامين على ترأس حسين حسني لها: "فهذه الجريدة تطالعا كل يوم بنقد نزيه مخلص، ووصف بديع صادق لكل ما يقام من حفلات، وكل ما ينظم من مباريات، ولكل ما يلزم للفرد والجماعات من ألعاب وتمارين ترسم الطريق للجميع فيؤدي كل واحد واجبة على أكمل وجه... ويحرر هذه الصحيفة رياضي معروف ظل يؤدي رسالته الرياضية في هذه البلاد أكثر من ١٥ عاما، فرأينا نقده في الصميم مبنيا على أصدق التجارب العملية، وعلى خبرته الشخصية التي تزيد من إنتاجه كل ما مرت السنون. ولقد تعلمنا من نقده الكثير من التوجيهات الصالحة والإرشادات القيمة من غير لف أو دوران، حتى سمي بالرياضة سموا كبيرا، ليس في كثرة قرائه فقط بل في كثرة جمهوره وتلاميذه في كل بلد من بلدان فلسطين".

مؤكد دور الصحافة الرياضية، يشير حسين حسني في أيلول ١٩٤٦ إلى دور الصحافة: "قالوا إذا أردت ان تحكم على شعب من حيث ثقافته ودرجة نهضته فاقرا شيئا من صحافته. ولم تذكر هذه النظرية عبثا، فإن صحافة البلد تعطي صورة واضحة عنه في جميع نواحي حياته، وهي التي توجه الجمهور، وهي التي تقوده نحو الرفعة والمجد. لذا فقد أصبحت مهمتها شاقة ومسؤوليتها جسيمة. ولقد عرفت الصحافة ما للتربية البدنية من فضل في إعداد النشء وتقوية الشباب، فخصصت لها نصيبا كبيرا، وأفسحت لها المجال، فرأينا أنهارها تفيض بالأخبار

والمقالات الرياضية تطالعنا بها الصحف كل يوم وكل أسبوع وكل شهر بمختلف الأقسام وفي شتى المواضيع الرياضية التي تهتم الجمهور .

في ما بعد يوجه حسني نقدا لمراسلي هذا الباب الرياضي في صحيفة فلسطين الذين كانوا يصفون وينتقدون ويعالجون بدون حساب في باب الألعاب هذا الباب الذي يصفه حسني بأنه: " لا يقل خطورة وأثرا عن غيره... لذلك نرجو ان تسند الكتابة الرياضية إلى أشخاص واقفين وقوفا تاما على ما يتناولونه بالحديث، بعيدين كل البعد عن الإغراض الشخصية... وقد سبق ان كتبت راجيا ان تكون حركة النقد قائمة على أساس التفكير الصحيح والرأي الصائب ودقة البحث، إذا أردنا الخير لحركتنا الرياضية".

وحول الدور الطليعي للأندية الرياضية في صقل الإنسان الفلسطيني يبرز الأستاذ حسني في إحدى مقالاته دور الرياضة، ثم يشير إلى ان المنظمات الشبابية والكشافية ترمي إلى إعداد الشباب من خلال الرياضة البدنية: " ولا ريب ان الملعب ميدان قتال منظم مصغر، ففيه يتعلم الفرد أول مبادئ القيادة والتعاون والسرعة والتفاني في صالح المجموع. وفي الملعب يتعلم الإنسان الصبر والجلد. والرجل الرياضي أبعد ما يكون عن حياة الترف والنعيم، وكثيرا ما نرى الرياضيين الموسرين يعشقون المعسكرات على ما فيها من شظف وحرمان. وفي الملعب تكتسب (الروح الرياضية) التي تهزأ بالأعصاب ولا تكسرهما الهزيمة ويسودها التفاؤل..... كل هذه الميزات من خواص المقاتل الباسل".

وقد أشير سابقا إلى ان إحدى الوظائف الهامة التي أداها حسين حسني للحركة الرياضية في فلسطين هي تحفيز التنشئة البدنية لدى المواطن العربي من خلال إعطائه تعاريف لمفاهيم رياضية مختلفة، وإبرازه لفوائد الرياضة الصحية والتربوية، ومن خلال تشجيعه للمنظمات والبلديات لاعتنائها بالرياضة. والذي يثير الاهتمام بهذا الصدد هو مقالة له في آب عام ١٩٤٤ يصف فيها الوضع الرياضي في مدينة نابلس: "نابلس هذه المدينة العريقة في المجد، الأصيلية في النسب، ذات التاريخ المجيد، نراها اليوم وقد أصبحت في مؤخرة المدن التي تعني بشؤون الرياضة، مع ان معظم شبابها من خريجي الجامعات من مدرسة النجاح. فلم نسمع عن نهضة رياضية فيها، ولا عن ناد رياضي يجمع ويضم الشباب، ويعمل على تقوية أجسامهم، ويتبارى مع مدن فلسطين في شتى الألعاب". ونراه يناشد شباب نابلس والمسؤولين فيها من أجل تأسيس الأندية الرياضية ومآزره أثريائها لمشروعات الشباب: "فبعملكم هذا تخدمون الوطن وتبنون جيلا جديدا، مفتول العضل، قوي الساعد".

ونراه يكتب حول هذه الرياضة في هذه المدينة البطلة مشيرا إلى التطور الذي واكب هذه المدينة في خلال مدة لا تزيد عن السنتين: "وهذا النادي الرياضي الأدبي يعمل، وهذه لجانه الرياضية والصحية والثقافية تؤدي رسالتها بشكل واسع، يشرف على إدارته نخبة طيبة من الشباب الناهض. وإننا نأمل ان يحقق هذا النادي برامجها الكثيرة التي أعدها... ثم عرجنا على كلية النجاح الوطنية، ورأينا الروح الرياضية تغلغل في نفوس طلابها، وتلمسنا اهتماما كبيرا بنواحي الرياضة البدنية التي تتمشى مع برامجها التعليمية، ويشرف على إدارتها الأستاذان أديب مهيار وقدرى طوقان".

وبشكل مماثل يكتب عن مدينة الخليل ونهوضها الرياضي الذي لم يكن يتعدى العام

الواحد (١٩٤٥-١٩٤٦) والتي كان الوضع الرياضي فيها مشابها لنظيرتها مدينة نابلس: "وإذا استعرضنا حياتها الرياضية نرى أنها بدأت عام ١٩٤٥ بتشكيل بعض الأندية الرياضية والفرق الكشفية والأقسام المدرسية... وبحق إذا استعرضنا هذه الحركة اليوم فإننا نطلب المزيد حتى تصبح هذه المدينة المقدسة من طليعة مدن فلسطين عناية بتربية الأجسام رياضياً".

لا بد من الإشارة إلى ان الاتحاد الرياضي الفلسطيني كان قد تأسس أيار عام ١٩٣١، وقد خطى خطوات عظيمة، حيث انضمت إليه كافة الأندية العربية في فلسطين، وتبارت فيما بينها على درع مؤتمر الشباب الذي دعم النشء. وكان ذلك أول دوري في كرة القدم في فلسطين. لكن عمل هذا النادي توقف بسبب ثورة ١٩٣٦. وفي أيلول عام ١٩٤٤ تمت إعادة بنائه، وأصبح يضم حوالي خمسة وخمسين نادياً في عضويته. كانت هذه الفترة (١٩٤٤-١٩٤٨) هي فترة نهوض نوعي وكمي للحركة الرياضية في فلسطين. فقد كان الاتحاد يعمل بشكل منظم، وبتنسيق مع الأندية والفرق الرياضية في فلسطين.

وكما ذكرنا فقد تعمق الترابط بين نشاطات الاتحاد والأندية والزواوية الرياضية في صحيفة فلسطين. ولم يتوان محرر هذه الزاوية عن التعبير عن دعمه لهذا الاتحاد، وإبراز نجاحاته وضم صفوة مختارة من الشباب الناهض إليه، وتنظيم أموره رغم ما صادف في أول تكوينه من عقبات وعثرات: "لكن اتحادنا لم يقم بواجبه على الوجه الأكمل. والسبب في ذلك معروف للجميع وهو الناحية المادية، إذ ليست هناك حكومة تمد إليه المعونة والمساعدة، ولا هيئة تمنحه مكافأة سنوية، ولا البلديات قد أفردت في ميزانيتها مبالغ خاصة له... فيا أيها الإخوان ان الاتحاد الرياضي الفلسطيني مشروع لعربية الأجسام، يخلق جيلاً جديداً من النشء، له أهميته الكبرى في كل قطر، وهو خير ما يجب ان يكون هدفنا في هذا الزمن".

بعد تأسيس الاتحاد الرياضي الفلسطيني سعت قيادته لمد جسور التعاون مع الاتحادات الرياضية في الدول العربية الشقيقة من أجل تمثيل فلسطين على الساحة العربية، التي كانت تمثل بالفرق والاتحادات الرياضية اليهودية. (بجمعية فلسطين لكرة القدم التي أسست من قبل الانتداب والعرب واليهود عام ١٩٢٨، وفي ما بعد هيمن عليها الصهاينة، مما دعا العرب إلى الانسحاب منها).

وفي إحدى المقالات دعا حسين حسني إلى دراسة مسألة الاتحاد الرياضي لكرة القدم "جمعية فلسطين لكرة القدم"، غير القانوني وغير المعترف به دولياً، والذي كان يتمثل باليهود في فلسطين، ممثلاً "العرب في فلسطين رغم أنوفهم". فقد طلب من وفد الاتحاد الرياضي العربي الفلسطيني دراسة هذه القضية أثناء زيارته لمصر للاتفاق على إقامة مباريات بين مصر وفلسطين، والعمل على حث الاتحاد المصري على محاولة إلغاء الاتحاد الصهيوني من الاتحاد الدولي "الذي لا يمثل إلا نفسه وإذا تعذر ذلك فالأفضل المطالبة بثلاثي مقاعده (للإتحاد الرياضي العربي الفلسطيني) حيث يتبقى له الثلث (حسب تشريع الحكومة في البلاد)".

وفي مقال آخر له أيضاً حول عقد اجتماع الاتحاد الدولي لكرة القدم (الفيفا) وموقفه المتحيز لـ "جمعية فلسطين لكرة القدم" يقول: "كما يظن ان دولة الرياضة لا تتأثر بدولة السياسة فتضيق بجانبها الحقوق ويفقد العدل. وها هم مندوبو ٦٤ أمة يجتمعون في لوكسمبرج، ويديرون حركة الألعاب بين معظم أمم الأرض في مؤتمر يعقدونه سنوياً ويمثل فلسطين العربية في هذا

اتحاد كرة القدم الفلسطيني "اليهودي" ومركزه الرئيسي تل أبيب... وقد انتهاز فرصة انعقاد الاتحاد الدولي ورفع صوته عاليا مطالباً بحق مهضوم وبأمانة وتمثيل مغتصب... أحد مندوبي الدول العربية وهو ممثل سوريا ولبنان الذي شرح لهم وجهة نظر عرب فلسطين، كما طلب من الاتحاد العربي تقديم مذكرة وافية حول الموضوع ورفعها إلى اللجنة المختصة للاعتراف بالاتحاد دولياً.

وكان واضحاً أن أكثرية أعضاء الاتحاد الدولي كانوا منحازين إلى جانب "جمعية فلسطين لكرة القدم". لذلك جاءت أكثرية الأصوات ضد انضمام الاتحاد الرياضي الفلسطيني إلى الاتحاد الدولي لكرة القدم. لقد حاولت القيادات الصهيونية إيجاد منافذ لها من أجل الوصول إلى الاتحاد الدولي، كما أن تمثيل فلسطين من قبل اليهود على الصعيد الدولي أعطى الإمكانية للاتصال مع الفرق الرياضية العالمية وإقناعها بوجود نشاط رياضي لليهود فقط.

وللأسف فأننا لم نعثر على أي أثر لهذا الأستاذ الفاضل بعد عام النكبة. غير أن صديقاً لي حدثني أنه التقاه في القاهرة عام ١٩٥٢. وما علينا إلا أن نقدم له احتراماتنا وتقديرنا العميقة لما قدمه هذا الرجل للحركة الرياضية في فلسطين في الثلاثينات والأربعينات. كما نقدم تحياتنا إلى كل من عايشه من زملائه أو تلاميذه.